

التعليم في حالة الطوارئ في العراق

أنيتا مالي وكارل تريبلهورن

في مناطق الأزمات، يعد إجراء تقييم رفيع المستوى، يتضمن الإنصات إلى الشباب، أمراً حتمياً للبرامج الراقية للتعليم وتوفير الحماية



إعطاء الطفولة - الولايات المتحدة / الكتيب المبني في العراق

ولأن المدارس كانت مغلقة ولم يكن من المتوقع فتحها قبل سبتمبر، أقامت جمعية إنقاذ الطفل معسكرات صيفية. وفي يوليو وأغسطس ٢٠٠٣، شارك ٨٥٠٠ طفل في ثمانية مواقع في معسكرات صيفية مدتها أسبوع تم تأسيسها للأطفال بغض النظر عن وضعهم الدراسي أو العرقي أو الوضع الاجتماعي أو إذا ما كانوا يعانون من إعاقة ما. وشارك في المعسكرات أطفال من المجتمعات المسيحية والإسلامية وغيرها. ووفرت الجمعية وسيلة النقل لمن يقطنون منهم في مجتمعات بعيدة وللأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة ومن يعيشون في دور رعاية سكنية.

وكان في مقدمة الأولويات التأكد من أن المعسكرات الصيفية وفرت مكاناً آمناً وإيجابياً ليلعب فيه الأطفال ويندمجوا معاً. وتراوحت الأنشطة التعليمية والترفيهية ما بين عقد فصول لمحو الأمية وتعليم الحساب إلى عقد فصول للرياضة والموسيقى والفن. وأدرجت جمعية إنقاذ الطفل من خلال خبرتها العالمية أن هذه الأنشطة تخفف من التأثير النفسي للحرب وتعد الأطفال للالتحاق بالمدرسة من جديد. كما تم إعداد الأطفال لمواجهة واقع ما بعد الحرب عن طريق توعيتهم بالموضوعات الصحية، وموضوع الألغام الأرضية والذخائر التي لم تنفجر. وفي نهاية كل معسكر كان الأطفال وأولياء الأمور والمتطوعون ينظمون احتفالات مجتمعية لإطلاع المجتمع بأسره على هذه الموضوعات. وفي المجتمعات التي أقيمت فيها المعسكرات الصيفية ساعدت جمعية إنقاذ الطفل إلى حد ما في إعادة تأهيل المدارس ومراكز الشباب. وتم إصلاح شبكات المياه والصرف الصحي وتغيير النوافذ والأبواب التي دمرتها الحرب كما تم إعادة طلاء الفصول الدراسية التي تعرضت للنهب والسلب.

وعندما فتحت المدارس، رأت جمعية إنقاذ الطفل أنه من أجل الوصول إلى الأشخاص الأكثر احتياجاً، يتعين تركيز أنشطة الدعم في المناطق الريفية في محافظة البصرة والتي كانت قد تأثرت بالفعل بالحرب الإيرانية العراقية، وتعرضت للإهمال في عهد نظام الحكم السابق وتتوقع استقبال أعداد كبيرة من اللاجئين العائدين والأشخاص النازحين داخلياً. وفي أثناء هذه المرحلة الثانية لعملية التقييم اكتشفت الجمعية أن مباني المدارس كانت غير مهيأة لاسيما الفصول

ويجب أن تهتم عمليات تقييم التعليم بالاحتياجات اللازمة لحماية الأطفال في إطار متطلباتهم التعليمية الشاملة الرسمية وغير الرسمية. ويؤدي التفهم الكامل للظروف الجيدة للأطفال في مناطق الأزمات إلى إنقاذ أرواحهم وتحسين برامج التعليم. ويجب على المدراء، الذين لا يتوفر لهم عدد كاف من العاملين ولا الوقت الكافي، أن يحافظوا على التوازن الصعب بين تقديم البرامج وتقييمها، لاسيما في أثناء المراحل الأولية من أية حالة طوارئ.

ويعد التعليم عنصراً حيوياً من عناصر المعونات الإنسانية والمساعدات الخاصة بإعادة الإدماج في المجتمع. وفي الشهور الصعبة التي أعقبت نهاية نظام حكم صدام وفر التعليم عنصر استقرار في حياة الأطفال. وكان بدء العام الدراسي في العراق في أكتوبر ٢٠٠٣ بمثابة ركن هام في استئناف الحياة الطبيعية. وعلى الرغم من تركيز قدر كبير من المساعدات على الاحتياجات الأكثر إلحاحاً المتعلقة بتوفير المأوى، والسلع المنزلية، والأمن الغذائي وتوليد الدخل، من المهم عدم تجاهل الاحتياجات الأخرى للأطفال وهم يواجهون لغة صعبة ومنهجاً دراسياً جديداً وظروفاً غامضة بعد الحرب.

عمليات تقييم المدارس والحماية

تدعم جمعية إنقاذ الطفولة في الولايات المتحدة "Save the Children USA" التعليم الرسمي وغير الرسمي لخمسين ألف طفل في محافظة البصرة جنوب العراق. ورسخت المشاركة وعمليات التقييم الجديرة بالاحترام، لاسيما في أثناء المرحلة المبكرة من حالة الطوارئ، الثقة عند الأطفال ومسئولي المجتمعات والحكومة وسهلت وضع برامج للتنمية المستمرة على مدى أطول.

وفي حزيران/يونيو ٢٠٠٣، أجرت جمعية إنقاذ الطفل تقييماً للاحتياجات السريعة شمل عدة قطاعات من بينها التعليم. وتم تقييم احتياجات وقدرات الأفراد والمجتمعات لتحديد طبيعة استجابة جمعية إنقاذ الطفل. وبالإضافة إلى الصحة والمأوى والمياه، وتبين أنه لم تكن هناك استجابة ملائمة لاحتياجات الأطفال المتعلقة بالحماية والتعليم والجانب النفسي.

التي تم تخريبها والمقاعد والسبورات المهملة.

وأعطت جمعية إنقاذ الطفل الأولوية لعشرين مدرسة ابتدائية وبدأت في القيام بأنشطة بمشاركة المجتمعات. وأسهم السكان المحليون في صيانة المدارس وتوفير الأمن وحشدوا المتطوعين لقيادة حملات التوعية بالألغام الأرضية والأنشطة الترفيهية. واضطلعت جمعية إنقاذ الطفل بمسئولية إعادة تأهيل أو إصلاح المدارس وتوفير أثاثها والمواد الخاصة بالنشاط الرياضي وشغل أوقات الفراغ والأجهزة المساعدة في عملية التعليم والمواد المكتنية.

وبالتعاون مع معهد تدريب المعلمين في البصرة طورت جمعية إنقاذ الطفل منهجاً دراسياً يركز على أساليب تعليم الأطفال، والاحتياجات النفسية لهم، والوسائل البديلة للانضباط ودمج مهارات كسب الرزق في الموضوعات الدراسية الحالية. ونفذ المنهج الدراسي المنقح بنجاح في المدارس العشرين وسيتم تطبيقه في مدارس أخرى في العام المقبل.

- عن زملائهم.
- ممارسة الضغط لإيجاد حلول للطلاب العاجزين عن الالتحاق بالمدارس بسبب الافتقار إلى الوثائق اللازمة لذلك.
- تحسين البنية الأساسية للمدارس لاسيما شبكات المياه والصرف الصحي.
- توعية المعلمين والوالدين باحتياجات الأطفال فيما يتعلق بالاندماج والتوافق النفسي.
- توعية الأطفال بالألغام الأرضية والذخائر التي لم تنفجر والسلامة العامة.

البرامج المستقبلية والدروس المستفادة

مع استمرار عملية إعادة إعمار العراق ستواصل جمعية إنقاذ الطفل استخدام عمليات التقييم لتوسيع نطاق أنشطة التعليم وتطويرها، وإعادة تأهيل المدارس، وبناء مهارات المعلمين وتعزيز قدرة لجان التعليم في المجتمع. ويجب تصميم نهج جمعية إنقاذ الطفل فيما يتعلق بعمليات التقييم في المستقبل بشكل جيد للغاية لأن المجتمعات تشعر بالاستياء عندما يتم تقييمها وتسجيل احتياجاتها دون تقديم خدمات لها.

والدروس التي تعلمتها جمعية إنقاذ الطفل من العراق دقيقة وواضحة المعالم وتعكس أفضل الممارسات المعروفة. فعمليات التقييم ذات المستوى الجيد ضرورية لوضع برامج تعليم على مستوى رفيع. ويتعين أن تراعى الأساليب الشاملة لمساعدة الأطفال على الالتحاق من جديد بالمدارس وإعادة الانضمام إلى المجتمع. فضلا عن الاحتياجات الخاصة للأطفال وتوفير المساعدات الملائمة على أساس المقترحات التي تم التوصل إليها من خلال الإنصات إلى آراء الشباب. وإذا لم تشمل عمليات التقييم التي قمنا بها البيئات لتشجيع الشباب على الإدلاء برأيهم، فستكون جوانب كثيرة من احتياجاتهم قد أُغفلت. وينبغي أن تجرى عملية التقييم في جميع مراحل الأنشطة لأن من المهم تحديد ومواجهة الاحتياجات المتغيرة للأطفال فيما يتعلق بموضوعي الحماية والتعليم.

أنيتا مالي مديرة برنامج حماية وتعليم الأطفال التابع لجمعية إنقاذ الطفل في العراق، البريد الإلكتروني: amalley@savechildren.org

كارل تريبلهورن متخصص في برنامج تعليم الأطفال في حالات الطوارئ الذي تنفذه جمعية إنقاذ الطفولة، البريد الإلكتروني: CTriplehorn@dc.savechildren.org

- أن عدداً كبيراً من الأطفال اللاجئين العائدين لا تتوفر لديهم مهارات الكتابة والاستيعاب باللغة العربية. لاسيما من تلقوا تعليمهم باللغة الفارسية ويتحدثون بها في المنزل.
- أن الفقر يحول دون التحاق عدد كبير من الأطفال العائدين بالمدارس، حيث قد يضطر الأطفال للعمل داخل المنزل أو خارجه، كما أن الأسر تنتقل عادة من مكان إلى آخر، وفي بعض الأحيان لا تستطيع دفع تكاليف زِي المدرسة وأدواتها المكتبية.
- أن نقص إمدادات المياه في المدارس وسوء حالة شبكات الصرف الصحي ضاقت الأطفال العائدين بشكل كبير.

■ أن الاختلاف في المناهج الدراسية بين إيران والعراق يعرقل عملية إعادة دمج الطلاب العائدين؛ نظراً لأن اللغة الإنجليزية لا يتم تدريسها في المدارس الابتدائية في إيران، على خلاف الحال في العراق، يتأخر الأطفال العائدون في تحصيلهم الدراسي.

■ أن كثيراً من العائدين وعائلاتهم يفتقرون إلى الوثائق اللازمة للتسجيل في المدارس العراقية.

وأسفرت المناقشات التي أجرتها مجموعات محورية صغيرة مع الأطفال العائدين، في إطار ودي وبعيد عن الترهيب، عن جمع معلومات عن تجربتهم فيما يتعلق بإعادة دمجهم. وقد طُلب من الأطفال رسم صور عن الأشياء التي يحبونها والتي لا يحبونها بالنسبة إلى مسكنهم الجديد ثم طلب منهم توضيح ما قاموا برسمه. ووجد الكثير منهم صعوبة في رسم شيء ما يحبونه في مسكنهم الجديد. وغالبية الصور تضمنت مناظر من إيران، لاسيما المنازل، والمساجد، وأشجار التفاح، والأنهار والجبال. ومن الواضح أن كثيرين يشعرون بالاشتياق إلى العودة إلى إيران ولا يعرفون الكثير عن العراق، ومما يثير القلق أن كثيراً من الصور التي قاموا برسمها عن العراق تضمنت طائرات حربية، ومروحيات، ودبابات وجنود احتلال وقصف أو إطلاق نار على منازل عراقية وأشخاص عراقيين. وتوضح تفسيرات الأطفال للصور أنهم يعتبرون أن العسكريين يمثلون تهديداً لهم ولممتلكات أسرهم ولأرضهم. وهذه الصور توضح أن على الوالدين والمدرسين تناول هذه المسائل بتوع من الحساسية. وبغض النظر عما إذا كان الأطفال قد شاهدوا بأنفسهم هذه الأحداث أو اكتسبوا مفاهيمهم من خلال وسائل الإعلام أو الأسرة، فإن مخاوفهم حقيقية ويتعين مواجهة التدايعات في البرامج المستقبلية.

ومن خلال المعرفة التي تم اكتسابها من الدراسات تعمل جمعية إنقاذ الطفل لتحقيق ما يلي:

- عقد دورات دراسية إضافية عن اللغتين العربية والإنجليزية للطلاب العائدين المتخلفين

وفي أكتوبر ٢٠٠٣ أشار تقييم للحماية تم إجراؤه إلى مجالات تثير القلق، فقد تبين مثلاً أن حوالي ٦٠٪ من المراهقين في المناطق الحضرية من البصرة يتعاطون الأدوية الطبية كمشروبات كحولية كونها مشروبات مخفية. ومن الأمور المقلقة الأخرى اكتشاف تأثير الأسلحة المسنولة عن الإصابات غير المقصودة، والتي يستخدمها الأطفال عن عمد في أثناء النزاع مع الآخرين. ولمواجهة هذه القضايا وضعت جمعية إنقاذ الطفل مشروعاً للتشجيع على اتباع أساليب المعيشة الصحية لتعزيز عدم اللجوء لاستخدام المخدرات والأسلحة بين الشباب في المناطق الحضرية. وُصممت ملصقات وكتب حكايات للأطفال وزار العاملون في جمعية إنقاذ الطفل ١٨ مدرسة متوسطة وثانوية ودوراً للأيام للقيام بحملات توعية حول المخدرات والأسلحة.

كما أوضح التقييم أن المجتمعات الريفية المنعزلة تأثرت إلى حد كبير بالألغام الأرضية، وأنها تعاني من تدن في المستويات الصحية وأن فرص التحاق الأطفال فيها بالمدارس محدودة للغاية. ولمواجهة هذا الأمر، نظمت جمعية إنقاذ الطفل حافلة متحركة للتدريب والتعليم المهارات الحياتية وأنشطة الترفيه للأطفال ما بين ٩ و ١١ عاماً في المجتمعات الريفية التي لا تحظى برعاية كافية وذلك لمدة يوم كامل. وكان هدف المشروع هو التوعية حول الصحة والسلامة والألغام الأرضية ومنح الأطفال فرصة للمشاركة في الأنشطة الترفيهية. وترك العاملون في جمعية إنقاذ الأطفال الملصقات والمنشورات وكذلك الوسائل التعليمية في كل مكان زاروه.

إعادة الأطفال النازحين

تحتل محافظة البصرة المرتبة الثانية بين الأماكن التي يقصدها اللاجئون لاسيما القادمون من إيران كما تعد من الأماكن التي تزداد نسبة الهجرة الداخلية أو النزوح إليها. ولا يجد اللاجئون والنازحون داخلياً سوى مجتمعات فقيرة حقاً تعاني من نقص في السكن وعجز في الخدمات العامة. وفي حالات كثيرة انضم اللاجئون العائدون والأشخاص النازحون داخلياً إلى العائلات الأخرى الفقيرة التي تقيم في المباني العامة ولا تتوفر لديها القدرة على الحصول على المأوى اللائق.

وفي أبريل ٢٠٠٤، أجرت جمعية إنقاذ الطفل بدعم من المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة دراسة لاحتياجات إعادة الإندماج بالنسبة إلى أطفال المدارس العائدين من المنفى في إيران. وجمعت البيانات من ١٤٥٣ طالباً عائداً في ١٥٣ مدرسة في المناطق المستهدفة. وأوضحت النتائج الأساسية للدراسة ما يلي: